alia ahmed

سيد أحمد أمين

دار تراث للنشر والتوزيع

الإمام البخاري

سيد أحمد أمين

/Website/https://torathbookstore.blogspot.com

اسم الكتاب/ الإمام البخاري

اسم المؤلف/ سيد أحمد أمين

سنة النشر/ ٢٠٢٤

مصممة الغلاف/ داليا أحمد

الجهة الناشرة/ دار تُراث للنشر الإلكتروني

رئيس مجلس إدارة الدار/ عبد الرحمن محمد

مدير عام الدار/ المهندسة أميرة محمود فتحي

تُراث للنشر الإلكتروني

{الإمام البخاري}

إهداء:

أهدي هذا الكتاب إلى روح الإمام العلم إمام الحديث ؛صاحب أول صحيح ؛مجدد السنة؛ الإمام العلم ؛صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى وهو "الجامع الصحيح"، فله منا ومن كل المسلمين والمسلمات السلام والسؤال له بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، فاللهم اجعله من الأبرار الأطهار الذين يحشرون مع الصديقين والنبيين والشهداء إنه سبحانه ولي ذلك ومولاه.

مقدمة:

أكتب كتابي هذا بعد ما صار كل حاقد جاهل لا يفقه أي شيء في الدين يسب الإمام البخاري وهذا الجاهل الذي ينقد الإمام البخاري لا يعلم ما هو الناسخ والمنسوخ ولا المحكم ولا المتشابه ولا المفصل، بل لا تجده أيضاً يعلم النحو ولا الصرف بل لا يعلم أصول الفقه ولا يفقه اللغة العربية بكل تفاصيلها، فتراه لا يحسن قراءة القرآن ولا قراءة اللغة كما ينبغي، فأنى لهذا الجاهل أن ينقض سيد الحديث وإمام الجرح والتعديل أول من سنَّ الجرح والتعديل في الحديث، فكان رضي الله عنه لا يقبل الحديث إلا اذا كان فيه الصحة والتواتر أي يروي الحديث جمع عن جمع وأن يكون الراوي من العدول وثقة ،فهل مثل هذا الإمام يجمع في صحيحه الموضوع أو الضعيف أو غيره من الدرجات الأخيرة في مراتب الحديث؟ وهل كل الذي يقوله الجهلاء عن إمام الحديث لم يراه الإمام مسلم أو بن الجوزي أو بن القيم أو بن تيمية أو غيرهم ممن كتبوا الحديث في حياته مثل احمد بن حنبل والنسائي والترمذي ومن جاء بعده مثل بن ماجه وأبو داود وغيرهم من العلماء والفقهاء، فهل مدعي العلم هذا بأفقه من هؤلاء الفقهاء الذين أفعموا الأرض علماً ونوراً؟ فيأتي من لا باع له في علم أو حتى يستطع قراءة القرآن الكريم بأحكامه كما يجب ،بل يأتي هذا الذي يهاجم سادته من العلماء

والأئمة ولا يحسن الصلاة ولا الفقه فضلاً عن دينه وربما يكون عربيداً سكيراً يلازم النساء ويعاقر الخمر ولا يتعامل بمعاملة الإسلام مع القريب ولا البعيد، فمثل هؤلاء الجهال الذين امتلأت قلوبهم حقداً وحسداً على الإسلام والمسلمين يبحثون عن ما تشابه من الآيات والأحاديث ليجدوا فيها ما يبحثون عنه كما قال الله تعالى(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه ءايات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون ءامنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) ،فهؤلاء الحاقدين يتبعون الشبهات ليصطادوا القلوب الضعيفة ليدسوا فيها سم التشيع والإلحاد والكفر، وها هم العلماء في كل زمن يخرج منهم من يشرح صحيح البخاري مثل الباري وغيرهم وها هو الدكتور أحمد عمر هاشم في عصرنا يشرحه أيضاً فهل هؤلاء المارقين الذين يبغضون سنة خير الأنام محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علمائنا الأطهار الذين يعرفون مناط الدليل والناسخ والمنسوخ والمحكم والمبين والمتشابه وأصول الفقه وأقسام الحديث وعلله وضعيفه وصحيحه وموضوعه، فهل أهم أعلم من الألباني أم من بن باز أم من العلماء والأئمة مثل الإمام مسلم الذي كان تلميذا للبخاري فأكمل ما بدأه البخاري وكان يقول للبخاري: اسمح لي يا سيدي ويا أستاذ الأستاذين أن أقبل يديك ورجليك ، فلو كان في الجامع الصحيح عيباً لقاله الإمام مسلم أو من شرحه فلقد كان البخاري كلما كتب حديثاً توضأ وصلي صلاة

الإستخارة قبل كتابته للحديث وإذا علم أن في أحد الرواة أو فيمن يأخذ منه الحديث شك أو كان يكذب، فكان لا يقبل منه الحديث والإمام البخاري كان يحب الفروسية والرمي وكان لا يخطئ سهمه.

-فهيا بنا نتعرف على إمام الجرح والتعديل إمام الحديث وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله الذي يحارب خاصة لأن البخاري إن سقط سقطت السنة ثم القرآن لأنه أصح كتاب بعد كتاب الله فإذا شككنا فيه أصبح من بلغ عنه يشك فيه أي النبي صلى الله عليه وسلم، ولو شككنا في كلام نبينا لكان كلام ربنا يشك فيه أيضاً لأننا بذلك نكون أسقطنا السند وصار الرواة لا يصدقون فيضيع الدين ولكن حاشا أن يسقط الدين ولا السنة والقرآن(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

-فمع شيخنا وشمس العلم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

-هذه قصة حياة الإمام البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه.

[الإمام البخاري]

- وتبدأ القصة بأن الأم قامت من نومها ، تقول في فرح: يا لها من رؤية طيبة! نبي الله "إبراهيم" عليه السلام يأتيني في منامي ويقول لي: "يا هذه ، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة دعائك "، اللهم اجعلها بشرى خير ، اللهم استجب دعائي ، ورد على ولدى الصغير بصره، وسارت الأم الصالحة إلى حجرة ولدها ، وهى تحرك قدميها بصعوبة بالغة

، وعندما وصلت إلى فراشه همت أن توقظه لكنها ترددت كثيرًا ، فقد كان قلبها المكلوم يرتجف بشدة ، فأخذت تمسح بيديها المرتعشتين على رأسه بحنان وعطف، وهى ما زالت تدعو الله أن يستجيب لها ويشفى ولدها ، فاستيقظ الصغير من نومه ، وأخذ ينظر في دهشة وهو يحرك جفونه باضطراب ، ويقول بصوت متقطع: أمي !إنني أراك يا أمي! أرى وجهك الجميل! أرى حجرتي ولعبي ! الحمد لله ؛ الحمد لله لقد رد الله إلىَّ بصري ، فأحست الأم من فرحتها أنها في حلم جميل ، لكنها ما لبثت أن عادت إلى وعيها بعد أن رأت ولدها الحبيب يجرى ويلعب كما كان يفعل من قبل ، فقالت في إيمان وفرحة:

الحمد لله ؛ الحمد لله القادر على كل شيء، وذات صباح كانت الأم ترتب منزلها فوقعت يدها على بعض الأوراق المدونة عليها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتذكرت زوجها الحبيب "إسماعيل" وقالت في حزن وألم ، وهى تمسح دمعة حارة قد انحدرت على وجنتيها: يرحمك الله يا أبا "محمد" لقد كنت رجلاً تقيًّا ورعًا ، وكم كنت تتمنى أن يكون ولدك "محمد" من رجال العلم ، وإنني أعاهدك أن أبذل كل ما في وسعى لكي أحقق لك أمنيتك الغالية إن شاء الله ،ثم نادت على ولدها في حب ، فأقبل الصغير مسرعاً في أدب فقالت له: لقد آن لك يا بنى أن تطلب العلم وتنفع نفسك وتنفع الناس من حولك ، وسوف أرسلك غدًا إلى الكتاب لكي تحفظ القرآن ، وتتعلم الحديث النبوي الشريف ، وتدرس اللغة

العربية لتصبح عالمًا جليلاً كما كان أبوك "إسماعيل" يرحمه الله

فقال الصغير "محمد" في ذكاء: أو كان أبى عالماً كبيراً يا أمي؟ فقالت الأم: نعم يا بنى ؛ فقال "محمد" في أدب: أعدك يا أمي أن أسير على نهجه وأسلك طريقه بجد واجتهاد بإذن الله ، فمدينة "بخاري" (تقع الآن في دولة أفغانستان الإسلامية) وهي من أعظم مدن بلاد "ما وراء النهر" حينئذ وكانت الكتاتيب التي تعلم اللغة العربية والقرآن الكريم والتاريخ والفقه منتشرة بصورة واسعة في أرجاء المدينة ، فانطلق الصغير "محمد بن إسماعيل البخاري" ينهل العلم من تلك الموارد العذبة ، فظهر عليه نبوغ مبكر أذهل كل من حوله ، فقد كان يملك ذهنًا وقَّادًا ، وقلبًا واعيًا ، وذاكرة مدهشة، وقدرة فائقة على الحفظ ، حتى إنه أتم حفظ القرآن الكريم ، وأتقن اللغة العربية ، وألم بكثير من الفقه وحفظ الحديث النبوي ، ولم يكن قد جاوز العاشرة من عمره ، وكانت الأم الصالحة دائماً ما تشجع ولدها ، وتهيئ له البيئة الصالحة لطلب العلم ، وبعد أن أتم "البخاري" دراسته في الكتاب رأت أمه الواعية أن ترسله إلى حلقات العلم المعروفة في "بخاري" "سمرقند" و"بيكند" و"مرو" ونيسابور" ، وذاعت شهرته بين العلماء حتى صار يناقش أساتذته، بل ويصحح لهم في بعض الأحيان، ولم يقف التفوق والنبوغ بالبخاري عند هذا الحد بل إن شيخه "محمد بن سلام البيكندى " عالم "بخاري " ومحدث بلاد "ما وراء النهر" كان يطلب منه أن يراجع له بعض كتبه فإذا وجد فيها خطأ صوبه ، فكان

العلماء يتساءلون متعجبين: من يكون ذلك الغلام الذي يصحح كتب أستاذه ؟!فكان الإمام "البيكندى" يقول في فخر واعتزاز بتلميذه النجيب: هذا الذي ليس له مثيل !وكثيراً ما كان الإمام "البيكندى" يحدث زملاءه عن تلميذه "البخاري" الذي يحفظ سبعين ألف حديث ، وليس ذلك فحسب بل إنه لا يحدث بحديث عن الصحابة أو التابعين إلا وكان يعرف متى وأين ولدوا؟ وأين عاشوا؟ ومتى كانت وفاتهم؟!ومرت السنون ، وأصبح "محمد بن إسماعيل" في السادسة عشرة من عمره فأحس أنه في حاجة ماسة إلى أن يطلب العلم في ربوع الدنيا ؛ حتى يشبع نهمه ويروى ظمأه ، فتوجه إلى "مكة المكرمة" في صحبة أمه وأخيه الكبير "أحمد" سنة(210 ه) للحج وطلب العلم ، وبعد انقضاء موسم الحج عادت الأم وولدها "أحمد" إلى "بخاري " ، وبقى "البخاري" بمكة يتنقل بين مناراتها العلمية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فلم تمر عليه سنتان في تلك البلدة الطاهرة حتى بدأ في تأليف كتاب "قضايا الصحابة والتابعين " الذي يعد أول مؤلفاته الخالدة، وكان دائماً ما يحلو للبخاري أن يذهب إلى "المدينة المنورة" ، وكان من ثمار هذا المكان وبركته أن ألف "البخاري" كتاب "التاريخ الكبير" الذي يعد أول كتاب جامع لأسماء رواة الحديث النبوي الشريف وأحوالهم ومن "المدينة المنورة" تلك البقعة العطرة الطاهرة انطلق "البخاري" في نشاط لا يعرف الكسل يطوف بلدان العالم الإسلامي حبًّا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فسافر إلى "الحجاز" والشام "ومصر" و"خراسان" (وهى منطقة واسعة تقع اليوم في

الشمال الشرقي من "إيران" وجنوب "روسيا" وغرب "أفغانستان") وزار "البصرة" ونزل ببغداد ، وكانت حينئذ عاصمة للخلافة العباسية ، وقد استفاد "البخاري" من تلك الرحلات العلمية أعظم استفادة ، وقرت عينه بمقابلة معظم رجال الحديث في زمانه فجلس إليهم واستمع منهم وحفظ عنهم العلم وذات مساء رأى "البخاري" رؤية عجيبة كانت لها أثراً عظيمًا جداً في حياته كلها! ،فقد رأى نفسه وهو واقف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يمسك في يده مروحة يدفع بها الأذى عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأصابته الحيرة وأخذته الدهشة، فذهب إلى شيوخه ليسألهم عن تفسير هذه الرؤية فقالوا له في فرحة: إنك إن شاء الله سوف تدفع الكذب والافتراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا تذكر "البخاري" شيخه "إسحاق بن راهويه" عالم "خراسان" الكبير عندما قال لتلاميذه: لو أنكم جمعتم كتاباً مختصراً في الصحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فوقع ذلك القول في قلب "البخاري" ، وتذكر ذلك الحلم الذي كان يلح عليه منذ بدأ يطلب الحديث النبوي الشريف ، فشمر من فوره عن ساعد الجد ،وخاض غمار رحلته الطويلة في تأليف ذلك الكتاب العظيم سنة (217 ه) وكان عمره حينئذٍ ثلاثة وعشرين عاماً ، وبسبب ذلك الحلم قطع "البخاري" آلاف الأميال متنقلاً بين أقطار العالم الإسلامي معترضاً للمتاعب والأهوال ، متكبداً المشاق الكبيرة ربما من أجل حديث واحدٍ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وصل به الأمر في بعض الأحيان أن أكل

الحشائش لكي يسد جوعه بعد ما أنفق كل ما معه من مال ، حتى الساعات القليلة التي كان يقتنصها لينال قسطاً قليلاً من الراحة والنوم ، لم يكن يترك نفسه تهنأ بها ، فقد كان يقوم في الليلة الواحدة من خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة يوقد السراج ، ثم يجلس يصنف ويرتب ما جمعه من أحاديث ،وقد أخذ "البخاري" شرطاً على نفسه ألا يكتب حديثًا عن راوٍ من رواة الحديث إلا بعد أن يلتقي به بنفسه ، ويسمع منه الحديث بأذنه ، وكان لا يأخذ حديثاً إلا ممن يتصفون بالأمانة والإتقان والدقة والورع وقوة الحفظ ، وبعد كل ذلك كان يغتسل ويصلى ركعتين لله عز وجل – ثم يضع الحديث الذي تكتمل كل شروطه في كتابه ،وبعد ستة عشر عاماً من الجهد والعمل المتواصل أتم "البخاري" كتابه الجليل ، جامعاً بين دفتيه ما يقرب من (7000) حديث صحيح ، اختارها من بين(600.000) حديث من الصحيح وغير الصحيح ، وقد ترك "البخاري" كثيراً من الأحاديث الصحيحة حتى لا يطول الكتاب ، واختار الإمام اسم "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" ليكون عنوانًا لأصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل المعروف (بصحيح البخاري)وقد نال الكتاب شهرة كبيرة ، وحظى "البخاري" بسببه بمكانة عظيمة كان جدير بمثله أن يتبوءها ، فقد كان رضى الله عنه واسع المعرفة غزير العلم عظيم الخلق ، سمح الطبع ، عزيز النفس ، عفيف اللسان ، زاهدًا في الدنيا ، قوى الإيمان ، شديد المراقبة لله ، وبعد أن

ذاعت شهرة الإمام "البخاري" في ربوع الدنيا أقبل ألوف الدارسين يتتلمذون على إمام الحفاظ والمحدثين حتى وصل عدد من كان يحضر مجلسه ببغداد إلى عشرين ألف إنسان ، وكان من أعلام تلامذته: "الترمذي" والنسائي" و"مسلم"وغيرهم وفى عام (250 ﻫ) رحل "البخاري" إلى مدينة "نيسابور" من مدن "خراسان" ، وأقام فيها مدة يعلم أهلها ، ثم قرر أن يعود إلى بلده الحبيب " بخاري" فتسابق أهلها إلى الخروج لاستقباله في احتفال عظيم نصبت فيه الخيام ، وعلقت الزينات ونثرت على الإمام الورود والدراهم والدنانير ، وكانت فرحة عظيمة عمت "بخاري" كلها

نشأته:

وفي هذا السياق كان لنا أن نتوقف مع أمير أهل الحديث، الإمام الجليل والمحدث العظيم، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري أمير أهل الحديث، وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، والذي احتل مكانته في القلوب، حتى كان يقرأ في المساجد كما تُتلى المصاحف، فقال هو عنه: "ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين"، وقال أيضًا: "صنفت الصحيح في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى".

-إنَّ تاريخ الإسلام لم يشهد مثله في قوة الحفظ، ودقة الرواية، والصبر على البحث، مع قلة الإمكانات، حتى أصبح منارة في الحديث، وفاق أقرانه وشيوخه على السواء، بل فاق كل العرب مع كونه ليس عربياً.

-البخاري ربته تلك الأم الصالحة فكانت البداية في بخاري (إحدى مدن أوزبكستان الآن)، وتحديدًا في ليلة الجمعة 13من شوال، سنة 194هـ، حيث ولادته ،وقد عرفت أسرته الإسلام عن طريق جده "المغيرة بن بردذبة"، فكان أول من أسلم من أجداده، وكان إسلامه على يد والي بخاري "اليمان الجعفي"؛ ولذلك نُسِب إلى قبيلته، وانتمى إليها بالولاء، وأصبح "الجعفي" نسباً له ولأسرته من بعده. وكان قدر الله أن يموت والد البخاري وهو مازال طفلاً صغيراً ، لينشأ يتيماً

في حجر أمه، التي قامت على تربيته أحسن تربية، لتُري أمهات المسلمين والأرامل منهن خاصة كيف تكون تربية الأبناء، وما هو دور الأم في جهادها لرفعة الأمة والنهوض بها؟

وفي مثال يدل على عجب أقرانه منه وهو خارج موطنه، يقول محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما عليّ وألححتما، فاعرضا عليّ ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدراً وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

-وعن رحلاته في طلب العلم يقول البخاري: "دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد".

-شيوخ الإمام البخاري:

فلم يكن غريبًا إذن أن يزيد عدد شيوخ البخاري عن ألف شيخ من الثقات الأعلام!! وتراه وهو يعبر عن ذلك فيقول: "كتبت عن ألف شيخٍ وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده"!! ،ويحدد عدد شيوخه فيقول: "كتبت عن ألف وثمانين نفساً ، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"، وكان من شيوخ الإمام البخاري المعروفين والذين روى عنهم: أحمد بن حنبل، ويذكره البخاري ممتناً فيقول: "قال لي في آخر ما ودَّعته: يا أبا عبد الله، تدع العلم والناس وتصير إلى خراسان؟ قال: فأنا الآن أذكر قوله. وكان من شيوخه أيضاً يحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، وقتيبة بن سعيد، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو حاتم الرازي، وغيرهم ،البخاري.

-المنهج الخاص للبخاري:

كانت حياته كلها، وبالأخص في العلم وتدوين الحديث، فقد ظل ستة عشر عاماً يجمع الأحاديث الصحاح في دقة متناهية، وعمل دؤوب، وصبر على البحث، وتحرٍ للصواب، قلما توافر لباحث قبله أو بعده، وكان بعد كل هذا لا يدون الحديث إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين، وقد بات عنده أحد تلامذته ذات ليلة، فأحصى عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحياناً ، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري (يشعل) ناراً ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها. ،وروي عن البخاري أنه قال: لم تكن كتابتي للحديث كما كَتبَ هؤلاء؛ كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته، وحمله الحديث إن كان الرجل فهماً، فإن لم يكن سألته أن يخرج إلى أصله ونسخته، وكان العباس الدوري يقول: ما رأيت أحدًا يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل، فكان لا يدع أصلاً ولا فرعاً إلا قلعه، ثم قال لنا: لا تدعوا من كلامه شيئاً إلا كتبتموه، وكان من كلام البخاري رحمه الله: "ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم، وحتى نظرت في عامة كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها، فما تركت بها حديثاً صحياً إلا كتبته، إلا ما لم يظهر

لي"، وقال بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً ، قلت: صدق، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس وإنصافه فيمن يضعفه؛ فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر ونحو هذا، وقل أن يقول: فلان كذاب أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: "لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدًا"، وهذا هو والله غاية الورع.

شيوخه:

بعد هذه الرحلات الواسعة لا يُسْتَغْرب قول البخاري رحمه الله قبل موته بشهر: "كتبتُ عن ألفٍ وثمانين نفسًا"، ابتدأ السَّماع من شيوخ بلده "بخاري "، فسمع أولاً من عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن اليمان الجعفي المسندي، ومحمد بن سلام البيكندى، وجماعة، وقد قسَّم الحافظ ابنُ حجر شيوخ البخاري إلى خمس طبقات:

الأولى:

مَن حدَّثه عن التابعين، وهم أتباع التابعين، مثل محمد بن عبدالله الأنصاري، ومكي بن إبراهيم، وعبيد الله بن موسى، وغيرهم.

الثانية:

مَن كان في عصر هؤلاء لكنَّه لم يسمع من ثِقات التابعين، كآدم بن أبي إياس، وسعيد بن أبي مريم، وأيوب بن سليمان، وأمثالهم.

الثالثة:

وهي الوسطى من مشايخه، وهم مَنْ لم يَلْقَ التابعين، بل أخذ عن كبار تَبَعِ الأتباع، كسليمان بن حرب، وقتيبة بن سعيد، وابن المديني، وابن معين، وابن حنبل، وإسحاق، وأبي بكر

بن أبي شيبة، وأمثالهم، وهذه الطبقة قد شاركه "مسلم" في الأخذ عنهم.

الرابعة:

رفقاؤه في الطلب، ومَن سمع قبله، كمحمد بن يحيى الذُّهْلي، وعبد بن حُمَيد، وأبي حاتم الرازي، وجماعة من نظرائهم، وإنَّما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه، أو ما لم يجده عند غيرهم.

الخامسة:

وهم في عِداد طلبته في السنِّ والإسناد، وقد سمع منهم للفائدة، كعبدالله بن حمّاد الآملي، وعبدالله بن أبي العاص الخوارزمي، وحسين بن محمد القباني، وغيرهم، وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وعمل في الرواية عنهم لما قاله "وكيع": "لا يكون الرجل عالِماً حتى يُحدِّث عمَّن هو فوقه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونه".

تلامذته:

أخذ عنه خلقٌ كثيرٌ لا يُحصَون، قال الحافظ صالح بن محمد الملقَّب (جزرة): " كان يجتمع له في "بغداد" وحدَها أكثر من عشرين ألفًا يكتبون عنه، وكان بين يديه ثلاثة مستملين، وسَمِع منه الصحيح ما يَقْرب من تسعين ألفًا، وممَّن أخذ عنه من العلماء المشهورين: الإمام مسلم بن الحجَّاج صاحب "الصحيح"، والإمام محمد بن سورة الترمذي صاحب "الجامع"، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيَّان ، وابن خزيمة، وصالح بن محمد (جزرة)، وغيرهم كثير، وكان رحمه الله إذا دخلت أول ليلةٍ من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلِّي بهم، ويقرأ في كلِّ ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أنْ يختمَ القرآن. وكان يقرأ في السَّحَر ما بين النِّصف إلى الثُّلث من القرآن، فيختم عند السَّحَر في كلّ ثلاث ليالٍ، وكان يختم بالنهار في كلِّ يومٍ ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كلَّ ليلة، وكان يصلِّي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، ويوتِر منها بواحدة، وكان معه شيء من شَعْرِ النبي صلى الله عليه وسلم جَعَلَه في ملبوسه، وصلَّى ذات ليلة، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرَّة، فلمَّا قضى الصلاة، قال: "انظروا أيش آذاني.

حفظه وذكاؤه:

قال البخاري رحمه الله: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح"، وقال: "كتبتُ عن ألف شيخ وأكثر، عن كلِّ واحدٍ منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده ،وقال محمد بن أبي حاتم الورَّاق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبدالله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنَّا نقول له: إنَّك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يومًا: "إنَّكما قد أكثرتما عليَّ وألححتما، فاعرضا عليَّ ما كتبتما"، فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلَّها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نُحْكِمُ كُتُبَنَا من حفظه، ثمَّ قال: أترون أني أختلف هَدَرًا وأضيِّع أيَّامي؟! فعرفنا أنَّه لا يتقدَّمه أحدٌ قَدِمَ "بغداد"، فسمع منه أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد هذا، وإسناد هذا المتن هذا، ودفعوا إلى كلِّ واحدٍ عشرة أحاديث ليُلْقُوهَا على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم، فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: "لا أعرفه"، وسأله عن آخر، فقال: "لا أعرفه"، وكذلك حتى فرغ من عشرته، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: "الرَّجل

فهم"، ومَن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز، ثم انتدب آخر، ففعل كما فعل الأوَّل، والبخاري يقول: "لا أعرفه"، ثمَّ الثالث، وإلى تمام عشرة الأنفس، وهو لا يزيدهم على: "لا أعرفه"، فلمَّا عَلِم أنَّهم قد فرغوا، التفتَ إلى الأول منهم، فقال: أمَّا حديثك الأوَّل فكذا، والثَّاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فردَّ كلَّ متنٍ إلى إسناده، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقرَّ له الناس بالحفظ ،وكان "بسمرقند" أربعمائة ممَّن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبُّوا مغالطة محمد ابن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشَّام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحَرَمين، فما تعلَّقوا منه بسقطةٍ لا في الإسناد، ولا في المتن ،قال الإمام ابن كثير: "وقد ذكروا أنَّه كان ينظُر في الكتاب مرَّة واحدةً فيحفظه من نظرةٍ واحدةٍ، والأخبار عنه في ذلك كثيرة"

ثناء الناس عليه:

جعل الله له لسان صدْقٍ عند العلماء وأصحاب التَّراجِم، فما زال العلماء منذ عصره يُثنون عليه وعلى كتابه "الصحيح"، حتى إنَّ بعضهم ألَّف مؤلَّفاً مستقبلاً في ترجمته ومناقبه كالذهبي وابن كثير وابن حجر وغيرهم كثير، وهذه بعض أقوال وثناء أهل العِلم عليه: ذُكِرَ قَوْلُ البخاري لعليّ بن المديني يعني قولَه: "ما استصغرتُ نفسي إلا بين يدي عليّ بن المديني"؛ فقال عليّ: "دَعُوا هذا، فإنَّ محمد بن إسماعيل لم يرَ مِثْل نفسه، وقال عمرو بن عليّ القلاس: "حديثٌ لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث ،قال إسحاق بن راهويه: "اكتبوا عن هذا الشاب، يعني" البخاري" ،فلو كان في زمن الحَسَنِ لاحتاج إليه الناس؛ لمعرفته بالحديث وفقهه ،وقال أبو عيسى الترمذي: "لم أرَى بالعراق، ولا بخراسان في معنى العِلل، والتاريخ، ومعرفة الأسانيد أَعْلَم من محمد بن إسماعيل" وقال نعيم بن حمَّاد، ويعقوب بن إبراهيم الدروقي: "محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأُمة"، وجاء "مسلم" إلى البخاري، فقال: "دَعْني أُقبِّلْ رجلَيك يا أستاذ الأستاذين، وسيِّد المحدِّثين، وطبيب الحديث في عِلله وقال: "مسلم" أيضًا: "لا يبغضك إلا حاسدٌ، وأشهد أنَّه ليس في الدنيا مثلك"، وقال أحمد بن حنبل: "ما أخرجتْ خراسان مثل محمد بن إسماعيل" وقال عبدالله بن سعيد بن جعفر:

"سمعتُ العلماء بالبصرة يقولون: ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح" وقال ابن خزيمة: "ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظ له من محمد بن إسماعيل"، وكان ابنُ صَاعد إذا ذَكَرَهُ يقول: "الكبش النَّطَّاح ،وقال أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبدالله بن نُمير: "ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل"، وقال الحافظ ابن كثير: "هو إمام أهل الحديث في زمانه، والمقْتَدَى به في أوانه، والمقدَّم على سائر أضرابه وأقرانه"، وقال: "وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء، والشجاعة، والسَّخاء، والوَرَع، والزُّهد في الدنيا دار الفناء، والرَّغبة في الآخرة دار البقاء" ،ولمّا قَدِمَ البخاري نيسابور سنة (250) هـ، استقبله الناس استقبالاً عظيماً ، فاجتمع الناس عليه مدَّةً يحدِّثهم، فحسده مَن حسده، وكان فيها محدِّثها محمد بن يحيى الذُّهْلي، وكان يقول لدى مَقْدم البخاري: "اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح، فاسمعوا منه"، فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخَلل في مجلس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك، وتكلَّم فيه ،ومن ثَمَّ سأل رجلٌ البخاري: ما تقول في اللفظ بالقرآن: مخلوقٌ هو، أم غير مخلوق؟ فأجاب بقوله: "القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العِباد مخلوقة، والامتحان بدعة" ،وقال: "أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا" ،فلمَّا قال البخاري ذلك، اختلف الناس في تفسير عبارته: فقال البعض: "قال بخَلْق القرآن"، وقال البعض الآخر: "بل قال لفظي بالقرآن

مخلوق"، فعندها قال محمد بن يحيى الذُّهْلي: "القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته، وحيث تصرف، فمَن لزم هذا استغنى عن اللفظ وعمَّا سواه من الكلام في القرآن، ومَن زعم أنَّ القرآن مخلوق فقد كفر، وخرج عن الإيمان، وبانت منه امرأته، ويُستتاب، فإنْ تاب، وإلا ضُربت عنقه، وجُعِلَ ماله فيئاً بين المسلمين، ولم يُدْفَن في مقابرهم، ومَن وقف فقال: لا أقول: مخلوق ولا غير مخلوق، فقد ضاهى الكفر، ومَنْ زعم أنَّ لفظي بالقرآن مخلوق، فهذا مبتدع، لا يجالَس ولا يكلَّم، ومَن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتَّهموه؛ فإنَّه لا يحضر مجلسه إلا مَن كان على مثل مذهبه" فانفضَّ الناس عن البخاري، فلم يحضر مجلِسَه إلا "مسلم" صاحب "الصحيح"، وأحمد بن سلمة، فبعث مسلم إلى الذُّهْلي ما سمعه منه؛ لأنَّه كان يُظْهِرُ القول باللفظ ولا يكتمه ومن الغَرابة أنْ يُعلِّق الحافظ ابن حجر على صنيع الإمام مسلم، فيقول: "قد أنصَف مسلم، فلم يُحدِّث في كتابه عن هذا ولا عن هذا" ،فأين الإنصاف والمسألة فيها شُبهة؟ عداك أنَّ البخاري لم يصح عنه أنَّه قال باللفظ؛ روى الخطيب عن محمد بن نصر المروزي، قال: سمعتُ البخاري يقول: "مَنْ زعم أنَّي قلتُ: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذَّاب؛ فإنِّي لم أقلْه"، فقلتُ له: يا أبا عبدالله، قد خاض الناس في هذا، وأكثروا فيه، فقال: "ليس إلا ما أقول" ،وقال أبو عمرو الخفاف: أتيتُ محمد بن إسماعيل، فناظرته في شيءٍ من الأحاديث حتى طابت نفسه، فقلتُ: يا أبا عبدالله، ها هنا أحدٌ يحكي عنك أنك قلتَ هذه المقالة، فقال: "يا أبا عمرو، احفظْ ما أقول لك، مَن

زعم من أهل نيسابور، وسمَّى بلدانًا أخرى أنِّي قلتُ: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كذَّاب؛ فإنِّي لم أقلْ هذه المقالة، إلا أنِّي قلتُ: أفعال العباد مخلوقةٌ" ،بعدها خرج من نيسابور، فعاد إلى بلده بخاري ، فاستقبله الناس، ونُثِرت عليه الدَّراهم، وحدَّث بها أيَّاماً إلى أنْ حَدَثتِ الوحشة بينه وبين واليها الأمير خالد بن أحمد الذُّهْلي؛ حيث سأله أنْ يحضرَ منزله، فيقرأ "الجامع"، والتاريخ " على أولاده، فامتنع عن الحضور عنده، فراسله بأنْ يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع، وقال: لا أخصُّ أحداً ، ثم قال للرسول: "أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب النّاس، فإنْ كانت لكَ إلى شيءٍ منه حاجة، فاحضرْ في مسجدي، أو في داري، وإنْ لم يعجبك هذا، فإنَّك سلطان فامنعني من المجلس؛ ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة؛ لأنِّي لا أكتمُ العلمَ، فوجد عليه الوالي، واستعان بخصومه حتى تكلَّموا في مذهبه، فنُفِيَ عن البلد، فمضى إلى "سمرقند ."ولم تمر الأيام إلا وقد عزل هذا الوالي وحدث في أهله ما لا يحمد فقال هذا لظلمي للبخاري.

أهم مصنفاته:

أجلُّها: "الجامع الصحيح" ،"الجامع الصغير" ،"الجامع الكبير" ،"الأدب المفرد" ،"أسامي الصحابة" ،"الأشربة"، كتب التاريخ: الكبير والأوسط والصغير، "التفسير الكبير ،" "خلق أفعال العباد" ،"رفع اليدين في الصلاة" ،"الضعفاء الصغير" ،"العلل" ،"الفوائد" ،"القراءة خلف الإمام ،" "قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم" ،"الكُنَى ،" "المبسوط" ،"المسند الكبير ،ومن أقواله رحمَه الله:" لا أعلم شيئًا أنفَع للحفظ من نَهمة الرجل، ومداومة النظر".

كرم البخاري:

-من كرم البخاري وسماحته قال محمد بن أبي حاتم الرازي عن الإمام البخاري: "كانت له قطعة أرض يؤجرها كل سنة بسبع مائة درهم، فكان ذلك المؤجر ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قثّاةً أو قثّاتين ؛ لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقثّاء النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحياناً ، فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحمله القثّاء إليه أحيانًا، قال: وسمعته يقول: كنت أستغل كل شهر خمس مائة درهم، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم، فقلت: كم بين من ينفق على هذا الوجه وبين من كان خلواً من المال، فجمع وكسب بالعلم حتى اجتمع له، فقال أبو عبد الله: ما عند الله خيرٌ وأبقى فكان يتصدق بالكثير، يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر، من غير أن يشعر بذلك أحد، وكان لا يفارقه كيسه.

قوة حفظه وذاكرته:

-وهب الله الإمام البخاري منذ طفولته قوة في الذكاء والحفظ من خلال ذاكرة قوية تحدى بها أقوى الاختبارات التي تعرض لها في عدة مواقف ،يقول البخاري: أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكتّاب، وكان عمره حينذاك عشر سنين ، ولما بلغ البخاري ست عشرة سنة كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع، وقال ابن عدي: حدثني محمد بن أحمد القومسي ، سمعت محمد بن خميرويه ، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح، قال : وسمعت أبا بكر الكلواذاني يقول: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلماء، فيطّلع عليه اطّلاعة ، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث في مرة.

مصنفاته:

تهيأت أسباب كثيرة لأن يكثر البخاري من التأليف؛ فقد منحه الله ذكاءً حاداً، وذاكرة قوية، وصبراً على العلم ومثابرة في تحصيله، ومعرفة واسعة بالحديث النبوي وأحوال رجاله من عدل وتجريح، وخبرة تامة بالأسانيد؛ صحيحها وفاسدها، أضف إلى ذلك أنه بدأ التأليف مبكراً؛ فيذكر البخاري أنه بدأ

التأليف وهو لا يزال يافع السن في الثامنة عشرة من عمره، وقد صنَّف البخاري ما يزيد عن عشرين مصنفاً، منها الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، المعروف بالجامع الصحيح أو صحيح البخاري. - الأدب المفرد: وطُبع في الهند والأستانة والقاهرة طبعات متعددة.

الكبير: وهو كتاب كبير في التراجم، رتب فيه أسماء رواة الحديث على حروف المعجم، وقد طبع في الهند سنة (1362هـ = 1943م).

التاريخ الصغير: وهو تاريخ مختصر للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ومن جاء بعدهم من الرواة إلى سنة (256هـ == 870م)، وطبع الكتاب لأول مرة بالهند سنة (1325هـ == 1907م).

خلق أفعال العباد:

وطبع بالهند سنة 1306هـ = 1888

-رفع اليدين في الصلاة:

وطبع في الهند لأول مرة سنة (1256هـ = 1840م) مع ترجمة له بالأوردية - حمل من المكتبة الوقفية .الكُنى: وطبع بالهند سنة (1360هـ = 1941

-الضعفاء الصغير: كتب مخطوطة لم تُطبع بعد، مثل: التاريخ الأوسط، قلت هو مطبوع في حلب باسم التاريخ الصغير

والتفسير الكبير والجامع الصحيح للبخاري، بل هو أشهر كتب الحديث النبوي قاطبة ، بذل فيه صاحبه جهداً خارقاً، وانتقل في تأليفه وجمعه وترتيبه وتبويبه ستة عشر عاماً، هي مدة رحلته الشاقة في طلب الحديث.

- بلغ عدد أحاديث صحيح البخاري مع وجود المكررة منها 7593 حديثاً حسب إحصائية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، اختارها الإمام البخاري من بين ستمائة ألف حديث كانت تحت يديه؛ لأنه كان مدقِّقاً في قبول الرواية، واشترط شروطاً خاصة في رواية راوي الحديث، وهي أن يكون معاصراً لمن يروي عنه، وأن يسمع الحديث منه، أي أنه اشترط الرؤية والسماع معاً، هذا إلى جانب الثقة والعدالة والضبط والإتقان والعلم والورع، وكان البخاري لا يضع حديثاً في كتابه إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين، وابتدأ البخاري تأليف كتابه في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولم يتعجل إخراجه للناس بعد أن فرغ منه، وعاود النظر فيه مرة بعد أخرى، وتعهده بالمراجعة والتنقيح؛ ولذلك صنفه ثلاث مرات حتى خرج على الصورة التي عليها الآن، واستحسن شيوخ البخاري وأقرانه من المحدِّثين كتابه، بعد أن عرضه عليهم، وكان منهم جهابذة الحديث مثل أحمد بن حنبل ،وعلي بن المديني ،ويحيى بن معين؛ فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث، ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله، ثم أقبل العلماء على كتاب الجامع الصحيح بالشرح والتعليق والدراسة، بل امتدت العناية به إلى العلماء

من غير المسلمين؛ حيث دُرس وتُرجم، وكُتبت حوله عشرات الكتب قال أبو "العباس الدعولي" : كتب أهل بغداد إلى البخاري: (المسلمون بخير ما حييت لهم، وليس بعدك خير حين تفتقد، وقال "القلاس": "كل حديث لا يعرفه البخاري فليس بحديث، "قال أبو نعيم أحمد بن حماد وهو فقيه هذه الأمة وكذا قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي ومنهم من فضله في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل و بن راهويه وقال قتيبة بن سعيد (رحل إلي من شرق الأرض وغربها خلق فما رحل إلى مثل محمد بن إسماعيل البخاري) .

تفوقه على أقرانه في الحديث:

ظهر نبوغ البخاري مبكراً ، فتفوق على أقرانه، وصاروا يتتلمذون على يديه، ويحتفون به في البلدان، فقد رُويَ أن أهل المعرفة من البصريين يعدّون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يُغلّبوه على نفسه ويُجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان شاباً لم يخرج في وجهه. لحاء رُويَ عن "يوسف بن موسى المروروذي" قال: كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت مناديًا ينادي: يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه، وكنت معهم، فرأينا رجلًا شاباً يصلّي خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم، فلما كان الغد اجتمع قريبٌ من كذا ألف، فجلس للإملاء، وقال: يا أهل البصرة، أنا شاب، وقد سألتموني أن أحدّثكم، وسأحدّثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون منها، وقال أحيد بن أبي جعفر والي بخاري : قال محمد بن إسماعيل يوماً : رُبّ حديثٍ سمعته بالبصرة كتبته بالشام ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر فقلت له: يا أبا عبد الله، بكماله؟ قال: فسكت.

ملامح شخصيته:

تمتع الإمام البخاري بصفات عذبة وشمائل كريمة، لا تتوافر إلا في العلماء المخلصين، وهذه الصفات هي التي صنعت الإمام البخاري:

الإقبال على العلم:

قام البخاري بأداء فريضة الحج وعمره ثماني عشرة سنة فأقام بمكة يطلب بها الحديث ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرُحلة إليها وكتب عن أكثر من ألف شيخ.

الجد في تحصيل العلم:

وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطرة ثم يطفئ سراجه ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة. وكان من أشهر شروح صحيح البخاري: "أعلام

السنن" للإمام أبي سليمان الخطابي (ت 388هـ)، والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري" لشمس الدين الكرماني (ت 786هـ = 1348م)، وفتح الباري للحافظ ابن حجر(ت 852هـ = 1448م])، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري" لبدر الدين العيني(ت 855هـ = 1451م)، "إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري" للقسطلاني (ت 923هـ = 1517م) -عرفانٌ بالجميل تبوأ البخاري رحمه الله مكانة عالية ومنزلة رفيعة في العلم وبين العلماء، وقد شهد له العلماء والمعاصرون له بذلك، حتى إنهم لقّبوه بأمير المؤمنين في الحديث، وهي أعظم درجة ينالها عالم في الحديث النبوي، وقد أثنوا عليه ثناءً عاطراً ، فيقول عنه ابن خزيمة: "ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري"، وقال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: "لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت ؛ فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم" رضى الله عنه وأرضاه وقال معاصروه أنه كان رامياً ماهراً نادراً، ما يخطئ سهمه الهدف، و ذات يوم أصاب سهمه وتد قنطرة على نهر فكسره فأرسل إلى صاحب القنطرة طالباً منه السماح له بإصلاحه على نفقته كان صاحبها من أهل العلم فرد علي البخاري قائلًا: "بل القنطرة و جميع مالي فداء لك "ففرح البخاري بسماحة الرجل و عفوه تصدق بمئات الدراهم وأملى على تلاميذه في ذلك اليوم خمسمائة حديث، وكذلك بنى رباطاً قلاعاً و تحصينات على حدود بلده

بخاري من ماله الخاص، وشارك بنفسه في بنائها، واجتمع عدد كبير من الناس لمعاونته في البناء وطلب منه بعضهم أن يستريح من العمل بيديه فأبى إلا أن يحمل الطوب معهم حتى لا يحرم نفسه من الثواب العظيم ، ويُروى أنه أعد لهم طعاماً وكان قد اشترى خبزاً قليلاً بثلاثة دراهم، فأكل معه ما يزيد عن مائة من العمال حتى شبعوا ،وبقى طعام كثير، وتلك كرامة ظاهرة، وكان رضى الله عنه مستجاب الدعوة قد عاين بنفسه استجابة الله تعالى له في الحال ،فامتنع بعد ذلك عن طلب شيء من ربه من حاجات الدنيا خشية أن ينقص من حسناته أو من صفاته العطرة كذلك أنه كان يتجنّب الغيبة والنميمة تماماً حتى في الوصف الضروري لأحوال رواة الأحاديث لبيان ما إذا كان الراوي صالحاً للنقل عنه أم لا، فقد كان البخاري يكتفى بقول عبارات غير جارحة، مثل: "سكتوا عنه "أو "تركوا حديثه أورماه فلان بالكذب" وفي هذا الوصف الأخير ليس هو من يتهم الرجل بالكذب بل شخص آخر، كل ما فعله البخاري هو إثبات هذا الوصف للأمانة العلمية ،فإنه لا يجوز كتمان حال الراوي بحجة تجنّب الغيبة هذه من حالات الضرورة حتى لا ينخدع الناس بشخص غير أمين فينقلوا عنه أكاذيبه التى ينسبها إلى النبي صلى الله عليه و سلم ،وفي هذا ما فيه من ضرر و بلاء عظيم.

زهد الإمام حدّث و لا حرج:

إذ كان مُكتفيًا معظم عمره بملابس بسيطة ، وكان طعامه الخبز فقط لا غير ، وكان يتصدّق بمعظم ما يأتيه من ثمار أرضه، وكثيراً ما كانت نقوده تفنى فكان يأكل الحشائش حتى لا يسأل أحداً شيئًا، وكان ربّه الأكرم يرسل إليه من يعطيه مالاً بلا طلب و لا سابق معرفة، وهي كرامة أخرى، ولم يعلم من حوله بزهده و تقشفه إلا في أواخر حياته عندما فحص طبيب بوله وأخبرهم أن هذا الإمام لا يتناول سوى الخبز فألح تلاميذه عليه أن يأكل معه شيئا فأضاف قطعة من السكر إلى الخبز ! و هذا حال كُل عالم عامل يشغله السعي إلى الآخرة ،و طلب العلم و نشره عن حطام الدنيا الفاني، أمّا ثناء العلماء جيلاً بعد جيل على الإمام البخاري ، فلا سبيل إلى حصره في كتاب واحد ،ونكتفى بعرض بعض ما قالوه عنه ، فقد قال أحد شيوخه محمد بن سلام:

"كلما دخل علي هذا الصبي" البخاري" تحيّرت ،وألتبس عليّ أمر الحديث وغيره، ولا أزال خائفاً ما لم يخرج "وهذا دليل على عبقرية التلميذ ورسوخه في العلم إلى درجة أن أستاذه يخشى أن يقع منه خطأ في حضوره ، و ذكر عمر بن مجاهد أنه كان عند محمد بن سلام فقال له بعد انصراف البخاري:

لو جئت قبل ذلك لرأيت صبيًا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت في طلبه حتى لحقته وسألته: أنت الذي يقول: إني أحفظ سبعين ألف حديث؟، فأجاب البخاري:" نعم ،وأكثر ، ولا أحدّثك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرّفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا و لي من ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، و قال أبو إسحاق السرماري: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى" محمد بن إسماعيل البخاري" ، و سُئل قتيبة عن طلاق السكران فقال للسائل: هذا أحمد بن حنبل وابن المديني وابن راهويه قد ساقهم الله إليك، وأشار إلى البخاري يقصد أن علم البخاري و فقهه يُساوى علم الثلاثة معًا، وكان مذهبه أنه إذا كان السكران مغلوب العقل ، لا يذكر ما يحدث في سكره ، فإنه لا يجوز عليه من أمره شيء، و كان أهل المعرفة بنيسابور يرون أن البخاري أفقه من أستاذه إسحاق بن راهويه ،وقال عبدان: ما رأيت بعيني شاباً أبصر من هذا وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل البخاري، وقال نعيم بن حماد أحد فحول العلماء: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأم، و قال مُسدد:" يا أهل خراسان لا تختاروا على محمد بن إسماعيل أحدًا". و لثقة الشيخ عبد الله بن يوسف في تبحّر تلميذه البخاري طلب منه مراجعة كتبه، وأن يُخبره بما فيها من سهو أو خطأ ففعل رضى المُحدّث الله عنهم، وعلم على بن المديني الكبير بمقولة البخاري: "ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي بن المديني "فقال علي لمن حوله: "دعوا هذا

،فإن محمد بن إسماعيل البخاري لم ير مثل نفسه "أي لا نظير له، وكما نرى فإن كلاهما قد تواضع لصاحبه، وهذا شأن العلماء العاملين فإنهم أكثر الناس أدباً وتواضعاً، و بلغ من تقدير عمرو بن علي الفلاس للبخاري أنه قال: "حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث" وقال أبو مصعب الزهري: "محمد بن إسماعيل البخاري أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل فقيل له: جاوزت الحد فقال للرجل: لو أدركت مالكاً، ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث ، بل قال عنه أستاذه إسحاق بن راهويه: "اكتبوا عن هذا الشاب يعني البخاري، فلو كان في زمن الحسن البصرى لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه" ، وقال علي بن حجر: "أخرجت خراسان ثلاثة: أبو زرعة ومحمد بن إسماعيل وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي محمد البخاري عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم لا أعلم مثله، وكذلك قال أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير: "ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل البخاري"، وتكفى شهادة الإمام العظيم أحمد بن حنبل للبخاري، فقد روى ابنه عنه أنه قال: "ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل وقال الإمام أحمد أيضاً: "انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان بآسيا الوسطى: أبو زرعة الرازي، و محمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبدالرحمن السمرقندي" الدارمي"، والحسن بن شجاع البلخي"، وكذلك شهد له الإمام بندار بن بشار بقوله: "ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل سيد الفقهاء

".، و قال مرجى بن رجاء: "البخاري آية من آيات الله تمشي على الأرض"، وأثنى الحسين بن حريث على البخاري قائلًا: "لا أعلم أني رأيت مثله كأنه لم يُخْلَق إلا للحديث" ، و حكى أبو سهل الشافعي أنه دخل البصرة والشام والحجاز والكوفة، فرأى علماءها وسمعهم كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فَضّلُوه على أنفسهم، وشهد قتيبة بن سعيد أن: "شباب خراسان أربعة محمد بن إسماعيل وعبد الله بن عبد الرحمن- الدارمي-و زكريا بن يحيى اللؤلؤي ، والحسن بن شجاع" ، وقال الإمام يعقوب بن إبراهيم الدورقي: "محمد بن إسماعيل البخاري فقيه هذه الأمة"، وقال أبو جعفر المسندي: حفاظ زماننا ثلاثة محمد بن إسماعيل البخاري حاشد بن إسماعيل ،و يحيى بن سهل . و وصفه الإمام الذهبي بقوله: "هو الإمام الحُجّة العلم الناقد المجتهد شيخ الإسلام قدوة الحفّاظ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المصنف للصحيح (الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) والتاريخ الكبير وكتاب الأدب المفرد وغير ذلك من التوالي المهذّبة التي لم يُسبق إليها، وأما الصحيح فهو أعلى ما وقع لنا من الكتب الستة في أول ما سمعت الحديث (لو رحل الرجلُ من مسيرة سنة لسماعِهِ لما فرّط) و هو أعلى الكتب الستة سنداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شيء كثير من الأحاديث وذلك لأن أبا عبد الله أسنُّ الجماعة وأقدمهم لقيا للكبار القدامى المُحدّثين ،وأخذ عن جماعة يروي الأئمة الخمسة عنهم، وجزاهُ الله عن الإسلام خيراً، نِعْمَ ما ادَّخر لمَعادِه"، وصفه

الإمام ابن كثير قائلاً : "الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه ،وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام وأجمع العلماء على قبوله و صحة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام" وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء، والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا دار الفناء والرغبة في الآخرة دار البقاء" ، و كذلك أصيب جميع من حرّضوا على البخاري أو اضطهدوه بأنواع شتى من العقوبات الإلهية، ولا عجب فقد قال المولى عزّ و جلّ ،في حديث قدسي رواه البخاري نفسه: (من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب)، وخرج الإمام العظيم في آخر الأمر إلى أقارب له بإحدى قرى سمرقند دعا ربه أن يقبضه إليه بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت، واستجاب الله لوليّه و خادم سُنّة نبيه فرجعت النفس المُطمئنّة إلى ربّها بعد أسابيع ،وشهدت جنازته أعداد هائلة من الناس ،وفاحت من قبره رائحة زكية لم يشمّ أحد منهم مثلها، فكانوا يتنافسون على اقتناء بعض ترابه، واضطر تلاميذه إلى إقامة حواجز حوله لمنع تجريف تربته ويُروى أيضاً أن أعمدة من نور خرجت من قبره عند دفنه، ونور علمه و بركته يُنير الطريق للسالكين، إلى يوم الدين، رضى الله عنه وأرضاه، فقد حظيت السنة بمنزلة كبرى عند المسلمين حتى كادت ترتفع إلى مكانة القرآن وتوازيه، خاصة عند السواد الأعظم منهم، أي أهل السنة والجماعة، حتى قال يحيى بن أبي كثير (من علماء اليمامة، ت: 129هـ):

"السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة"، وقال أحمد بن حنبل: "لا أجسر على أن أقول هذا، ولكن أقول: السنة تفسر الكتاب وتبينه، وصحيح البخاري ومسلم هما أجل جوامع السنة؛ إذ اشترطا على نفسيهما على ألا يخرجا إلا الصحيح على قانون علوم الحديث، فجاء كتاباهما في الذروة بين جوامع السنة وتلقتهما الأمة بالقبول، إلا أن كتابي البخاري ومسلم لم يزالا يتعرضان للنقد على مدى التاريخ، نقداً يتراوح بين الدراسة العلمية والخطاب الفكري الساخط عليهما، ويتراوح كذلك في شدته بين نقد أحرف يسيرة فيهما وبين إسقاط قيمة الكتابين أو المطالبة بسحب تلك القيمة الكبيرة التي منحها الكتابان.

ولكن الإمام البخاري لا يزال من أعلى أعلام الأمة الإسلامية وأحفظها وأعلاها منزلة ،فقد ثبت لدى علماء السنة أنه لا يضاهيه أي أحد من علماء الحديث، ولو كان غير ذلك لنقضه أقرانه في زمانه ،ولعابه تلاميذه ومن شرح صحيحه ،ولكنهم الكلاب ينبحون على السحاب، فلا تتأثر السحاب بنبح الكلاب، ولن تكف الكلاب عن النباح ما دام هناك الحاقد والحاسد للسنة العطرة ولكتاب ربنا سبحانه وتعالى ،فلو سقط كتاب البخاري لسقط من دونه من الكتب، ولو سقطت كتب السنة لسقط القرآن الكريم، لأن من رووا السنة هم من رووا الحديث، فلا يماري ولا يناطح مثل هؤلاء الأعلام إلا الجهال وبعض المنافقين والآكلين على كل الموائد من الذين يدعون بأنهم على الإسلام ،وما هم على الإسلام، بل إنهم ليسوا إلا

من الكاذبين ،نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يدفع عن قرأنه وسنة نبيه ،وأن ينتقم من كل حاقد وحاسد يتعرض لمثل هؤلاء الأعلام للنيل من تراثهم، ولن ينالوا إلا كما ينال المخيط إذا أدخل في اليم، فاللهم احشرنا معه ومع كل من كان على شاكلته من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

كتبه وأعده العبد الفقير لمولاه:

سيد أحمد أمين

الموافق

الأحد/2017/11/5

ISBN #: 978-1-387-35100-8